معرض «نحاتات مصر» قاعة افتراضية تفاعلية

تجارب نحتية نسوية مستوحاة من الحشرات التي تقطع خيوط العنبكوت

بعد افتتاح معرض جماعي مهم للنحاتات المصريات المعاصرات أمام الجمهور في عدة أيام، أقدم الغاليري الذي يستضيف الأعمال في القاهرة على تجربة جديدة، بإغلاق القاعة وتحويل مسار المعرض في أسبوعه الثاني إلى البث الافتراضي عبر السوشيال ميديا.

حشرات مُربكة لكنها مُلهمة

بين التزويق والفن جماليات حسية لا تُتقنها إلا الأنثى

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – بالفن يمكن أن يتحوّل حصار فايروس كورونا المستجدّ، المفروض على سائر الفعاليات الثقافية والفنية في مصر وأغلبية دول العالم، إلى خيوط عنكبوت واهية. فالتجمعات البشرية المحظورة من الممكن الاستعاضة عنها بلقاءات في العالم الافتراضي، عبر الإنترنت وصفحات السوشيال ميديا، لتظل القوة الناعمة مُؤدية دورها في توجيه رسالتها ومخاطبة المتلقي.

من هذا المنطلق الإيجابي، حرص معرض "أرواح" للنحاتات المصريات الشابات بغاليري "مجدوب ديزاين ستوديو" في القاهرة، المقرّر أن يستمر حتى 9 أبريل الجاري، على استكمال أيام انعقاده المقبلة بتقنيات جديدة تُلائم هذه المتغيرات الاستثنائية الطارئة، فأغلق الغاليري أبوابه.

لكنه فتح نوافذه الضوئية إلكترونيًا في فضاء أرحب، ليتّسع لزوّار من أيّ مكان في مصر وخارجها.

وذلك من خلال صور الأعمال ثلاثية الأبعاد وفيديوهات يومية للفنانات المشاركات للحديث عن تجاربهنّ، بما يُعدّ مبادرة نوعية تستحق التحليل في هذا المجال البصري المؤثر، تحت وطأة كورونا والعزل المجتمعي الراهن.

واكتسب معرض "أرواح" للنحاتات المصريات أهمية مضاعفة، فمن جهة هو بانوراما شاملة لفن النحت النسوي المصري المعاصر بإتاحته أحدث الاتجاهات الفنية لدى مجموعة كبيرة من الفنانات الشابات التقين معا حول ثيمة "الكائنات الحية" (الحشرات خصوصا) بأعمال مُبتكرة وتجريبية ذات خامات متنوعة، ومن جهة أخرى فقد ارتاد المعرض مغامرة فنية وتسويقية في آن بالعرض التخيلي الجريء الذي استعاض به عن الحضور المباشر للجمهور.

خطوة أولى

"رب ضارة نافعة، فعلى الرغم من الخسارة الكبرى بعدم إمكانية الاستمرار في استقبال المُشاهدين، فإن العرض الإلكتروني قد يُوفّر مزايا أخرى غير متاحة داخل القاعة"، هذا ما أشار إليه المصمّم المعماري الفنان أكرم المجدوب مدير الغاليري وأحد المسؤولين عن مشروع تطوير القاهرة التاريخية.

وقال لـ"العرب"، "فن النحت ثلاثي الأبعاد، ومن الضروري مشاهدته في الفراغ المحيط به، وقد تكون الصور الفوتوغرافية وسيطا غير كاف للتفاعل الكامل مع العمل. إلّا أن مشاهدة النحت كعنصر مُصوّر تمثل خبرة فنية خاصة جديرة بالتجربة أيضا".

ومن دواعي تميّز العرض بهذا الأسلوب التقني عبر وسائل التواصل الاجتماعي "تفاعل المشاهدين بالرأي والتعليق المكتوب، وكذلك بإعادة النشر على صفحاتهم الخاصة، وهو ما لا يتوفّر في قاعة العرض الاعتيادية". وكذلك فإن فضاء التلقي أوسع بكثير من العدد المحدود من مرتادي القاعة الضيّقة، الأمر الذي يعني أن كل أزمة ومشكلة طارئة "قد تحمل بين طياتها مكاسب ضمنية وخفية".

وأوضح المجدوب أن إدارة الغاليري أطلقت هذه المبادرة تحت شعار "خليك في البيت"، حرصا على سلامة زوّار المعرض، على أن يُعاد النظر في فترة الإغلاق تبعا للمُتغيّرات. وقال موضحا "ننشر يوميا لقطات لجوانب من المعرض، بالإضافة إلى أعمال الفنانات المُشاركات، وفيديوهات يتحدّثن فيها عن تجاربهنّ الفنية، وهي محاولة لإتاحة الفرصة لزيارة افتراضية آمنة، لحين انتهاء فترة العزل".

لم تمرّ سوى أيام قليلة على بدء هذه التجربة، ولا يزال حجم التفاعل معها محدودا على الصفحة الرسمية للغاليري على فيسبوك، بما يعني أن الجانب الترويجي والتسويقي يبدو أقلّ من المأمول. لكنه أمر مُتوقّع كون العرض بهذه التقنية غير مألوف للمتلقي، ومثل هذه الخطوة الأولى على أيّ حال أفضل من الإغلاق النهائي للغاليري، في ظل تعليق الفعاليات الثقافية الجماعية.

طموحات فنية

من الوجهة الفنية، رسمت أعمال المُبدعات المُشاركات ملامح النحت النسائي بمصر في الآونة الأخيرة، من حيث الحساسية الفنية وطبيعة الخامات وطواعيتها وحجمها وتكلفتها وقابليتها للتسويق. وأثبت المعرض الجماعي خصوصية النحت لدى المرأة واختلافه النوعي عن مثيله لدى الرجل.

ومن خلال ثيمة "الكائنات الحية"، ركّزت الفنانات على "الحشرات"، كونها أكثر ملاءمة لسمات النحت النسوي، إذ تميل المرأة النحاتة عادة إلى اشتغال مُجسّمات صغيرة الحجم، لا تتطلّب قوة عضلية وبدنية، ولا معدّات ثقيلة، ولا تحمّلها تكلفة اقتصادية عالية غير متاحة لها، ويمكن إنجازها في المنازل دون الحاجة إلى ورش خاصة، وفي الوقت نفسه يسهل نقلها وتسويقها بمرونة بخلاف الأعمال الضخمة. كما أنها عادة من خامات طيّعة، ليُمكن للمرأة التعامل معها بحساسية ورهافة وفيوضات شعورية، فمجال تفوّق المرأة في فورانها العاطفي والفني.

تنوّعت تجارب الشابات المصريات في منحوتاتهنّ الدقيقة من الخشب والبرونز والرخام والطين الأسواني والنحاس والقصدير والفايبر وغيرها، وحرصت الفنانات على ارتياد حقول التجريب في أعمال امتزجت فيها أكثر من خامة، وأكثر من حشرة معا أو أجزاء من حشرات مُتعدّدة، في التكوين الواحد.

> الأعمال تُبرز خصوصية النحت النسائي من حيث الحساسية الفنية وطبيعة الخامة وطواعيتها وتكلفتها وقابليتها للتسويق

من أبرز المبدعات المشاركات: رهام أبوالعز، هبة أبوالعلا، إسراء حاتم، إنجي بركات، شروق هلال، مريم الكسباني، يوستينا فهمي، سمر مجدي، منة إسكندراني، ميسون الزربا، ريم أسامة، سارة سمير، لينا المجدوب ووئام علي. وقد بثّت صفحة الغاليري فيديوهات تعريفية بكل فنانة، إلى جانب لقاءات مصوّرة معهنّ حول أعمالهنّ الفنية في ميدان النحت ا لشائك.

ومن الخامات النادرة التي استعملتها الفنانات في أعمالهنّ المبتكرة الصخر الملحي، كما لدى النحاتة إسراء حاتم، بما سمح بحوار حميم بين الفنانة والخامة، وبإمكانية إيجاد صيغة للتفاعل بين الضوء والكتلة. ولجأت بعض الفنانات إلى إعادة التدوير، بما سمح لهنّ بالتعامل مع خامات لا حصر لها مُتوفّرة في البيئة المحلية.

واتجهت فنانات أخريات إلى تقنية المزج، كما في أعمال النحاتة هبة أبوالعلا، التي جمعت بين خامات النحاس والقصدير والفايبر في تكوين واحد، كما دمجت أكثر من حشرة وكائن حي في عمل مركّب، كذلك الذي استوعب حركة الدودة مع الجعران وذيل العقرب. وفي عمل آخر صمّمت بيت حشرة مع التركيز على المُتغيّرات التي طرأت على المكان الآمن عند اقتراب إحدى العناكب الخطيرة.

الإنسان/ الوحش خارجا من أقبية الفن الإسباني الرائي

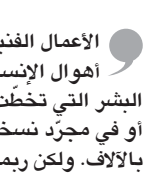

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

الأعمال الفنية التي صوّرت أهوال الإنسانية ومخاوف وآفات البشر التي تخطّت الواقع في تحققها أو في مجرّد نسخها الخيالية هي بالآلاف. ولكن ربما يبقى العمل الفني الذي أبدعه عملاق الفن الإسباني فرانشيسكو غويا والذي يحمل عنوان "ساتورن يلتهم ابنه" من أهم الأعمال على الإطلاق ومن أكثرها استحضارا لأفكار تتعلّق بطبيعة البشر وبما صنعوه من مآسي في حق ذاتهم أولا وأخيرا.

ولعله أيضا من أكثر الأعمال رائية، لأنه رافق الإنسان في جميع تحوّلاته الوحشية وصولا إلى يومنا هذا مع تفشي فايروس كوفيد- 19 عالميا الذي حصد إلى الآن آلاف البشر في جميع أنحاء العالم "القرية الصغيرة".

فهذه القرية الصغيرة باتت محكومة بوحش اقتصاد رأسمالي هو من صنع البشر، تغذّى على مدى السنين بالجشع واللامبالاة والغرور حتى بلغ حدوده أقاصي الأرض وألقى بظله على جميع مرافقها الحياتية.

يبدو أن هذا الوحش وصل مؤخرا إلى مرحلة من النضج أصبح فيها يحتاج إلى أن يقتات على البشري، كما حدث في لوحة الفنان غويا. وفي حين يأكل الوالد ابنه في لوحة الفنان، يأكل الابن والده على أرض الواقع العالمي المعاصر.

وأكثر ما يميّز لوحة غويا هو تعبير وجه الوحش المفروض أنه في موقع القوة. فالهلع البادي في نظراته تأكيد على أهم مواصفات الإنسان المعاصر، وهي من ناحية الهلع وصعوبة تصديق ما يفعله هو بحق البشرية التي هو فرد منها، وعدم القدرة على الامتناع من الاستمرار بالنهش في جسدها (في جسده) في آن واحد.

ويستحضرنا هنا، وفي أوجّ أزمة تفشي الفايروس في الولايات المتحدة، الرئيس الأميركي دونالد ترامب وهو يقول مُكرها بما معناه، تحت مظلة سوداء محتميا من انهمار المطر ومنذ أيام قليلة، إنه "يفكر" في إعلان حظر التجوّل.

ومن النافل القول إن أولويات الرئيس في الأيام "الساحقة" التالية هي إنقاذ الاقتصاد الأميركي وثانيا إنقاذ حياة المواطنين، مع العلم أن الأول لا يستقيم من دون سلامة الثاني.

وفي هذا السياق يجدر الذكر أن لوحة الفنان فرانشيسكو غويا هي في تمام اللوحة الرمزية: الكائن المتوحّش "ساتورن"، هو الوقت يأكل أبناءه / الأيام التي مهما تعدّدت هي منتهية ومعها حياة البشر.

ومن ضمن جو هذا العمل الفني القاتم والرائي نعثر اليوم على السباق العالمي المُستميت مع الزمن لأجل الوصول إلى علاج يكبح جماح الفايروس القاتل. وهذا إذا لم يكن هناك سيناريو أكثر رعبا خرج فيه الفايروس مُصنعا هو وترياقه من إحدى المختبرات العالمية لأجل كسر دولة عظمى. ولكنه خرج عن السيطرة أو كُتم الإعلان عن ترياقه حتى تحقيق الأهداف "الاقتصادية".

من الواضح جدا أن فرانشيسكو غويا في عمله الفني هذا لا يستهين ولا يستثني أي درجة من الفظاعة قد يصل إليها الإنسان المُتحضر. أمعن في إبداع أعمال فنية جارحة وقاتمة تحمل ملامح واقعية جدا ملفوحة بتخيلات مُرعبة لأنها قابلة للتحقّق في أي لحظة.

ونذكر هنا بشكل خاص مجموعة من أعماله أُطلق عليها عنوان "اللوحات السوداء". رسمها الفنان على جدران منزله في أواخر سنوات حياته ولم يكن يهدف إلى عرضها. رسمها حين تملك منه المرض وانتشرت الأوبئة واكفهّرت الظروف السياسية والاضطرابات الداخلية المعاصرة له، تلتها سقوط الحكومة في إسبانيا.

لوحات صوّر فيها الإنسان تحت مطرقة الفقر والأوبئة والآفات الاجتماعية حتى استحال إلى مخلوق مخيف يملك حوافر حيوانية ووجوها لشياطين خيالية. ولعل عبقرية الفنان تكمن في أنه لم يرسم فقط وحشية البشر وهشاشتهم في آن واحد، بل رسم ما سيكونون عليه إن خرجت (وستخرج) وحشيّتهم عن نطاق السيطرة بفعل غرور منقطع النظر ولامبالاة مخيفة أقامت فيها الطيور الكاسرة والأسطورية أدمى أعشاشها.

لا نستطيع تحديد تماما كيف يختلف إنسان فرانشيسكو غويا غير الإنساني عن إنسان اليوم، هذا المتبوّئ سدد السلطة والقوة التكنولوجية والنفوذ الاقتصادي، ولا كيف يختلف عن مخلوق "بروميسيوس" الذي صنعه فيكتور فرانكشتاين في الفيلم الخيال العلمي الرائع، من حيث أنه خرج عن سلطة صانعه ليصبح مسخا متوحشا قادرا على القتل بعد أن غذّاه صانعه بطاقة البرق الكهربائية الخارقة وسع سماء شتائية عاصفة كي يبث فيه "الحياة"؟

> يبدو أن هذا الوحش وصل مؤخرا إلى مرحلة من النضج أصبح فيها يحتاج إلى أن يقتات على البشري، كما حدث في لوحة غويا

كلمة تحتاج اليوم إلى الكثير من التأمل وإعادة التعريف. وربما يجيء كلام الفنان فرانشيسكو غويا قادرا على كشف دور الفن في الكشف عن الأساطير المُعاصرة المُشبعة بالأوهام، وقادرا على تصويب الرؤية نحو إنسانية جديدة تقف على مفترق طرق: إما الإمعان بتصفية الإنسانية وإما إنقاذ منطقها وصلب كينونتها من أوهام وشرور قادتها. يقول غويا "الأحلام غير المدعومة بالمنطق تخلق الوحوش المستحيلة. أما حين تكون متّحدة بالمنطق، فهي أمّ الفنون ومُنبعث الروعات".

«ساتورن يلتهم ابنه» نموذج لإنسان يرزح تحت مطرقة الفقر والأوبئة (لوحة للفنان فرانشيسكو غويا)